الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معه في المجد* فأَميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِّنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلَكتُم حيناً إذ كنتم عائشين فيها* أمَّا الآن فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا

الحياة المُستترة مع المسيح

وضعت كنيستنا المقدّسة، في الأحد المخصّص لتذكار أجداد ربّنا يسوع المسيح بالجسد، مقطعًا من رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل كولوسي، يصلّي الرسول في بدايته من أجل أن يمتلئ سامعوه من معرفة مشيئة الله في كلّ حكمة وفهم روحيّ، ليسلكوا كما يحقّ للربّ ويرضيه كلّ الرضى (١: ٩–١٠). ينتقل بعد ذلك إلى إيضاح مسألة «المصالحة في المسيح» فيقول: «وأنتم الذين كنتم حينًا غرباء وأعداء في الضمير بالأعمال الشرّيرة قد صالحكم الله الآن في جسد المسيح البشريّ حين أسلَمَه إلى الموت ليُحضِركم قدّيسين بلا عيب ولا لوم أمامه» (١: ٢١–٢٢). لا شكّ في أنّ بداية الرسالة تمهّد لنا الطريق لفهم كلّ ما يليها، خصوصًا مسألة «حياتنا المستترة مع المسيح في الله» التي هي موضوع رسالة اليوم.

يقول الرسول إنّه، متى ظهر المسيح الذي هو حياتنا، فسنظهر نحن أيضًا حينئذٍ معه في المجد. إذ نحن نقترب من التعييد للظهور الأوّل للمسيح، أي لإخلاء ذاته آخذًا صورة عبد ومولودًا تحت الناموس، يقفز بنا الرسول بولس إلى المجيء الثاني، حين سيظهر المسيح لا بصورة عبدٍ بل بملء مجد ألوهته. يقول آباؤنا القدّيسون إنّ المسيح يبقى بين الظهورَين «في امّحاء»، غير ظاهر إلّا في عقائد كنيسته وأسرارها، لا يراه إلّا المؤمن الساعي فعلًا إلى لقائه، ذلك أنّ موت المسيح على الصليب لم يفرض علينا المصالحة مع الله، بل أزال عنّا الديون القديمة وكلّ ما كان يحول بيننا وبين الله، فصارت طريقنا إلى المصالحة سالكة وصرنا قادرين، إن أردنا، أن نمْثُلَ أمام الله «قدّيسين بلا لوم ولا عيب». كلام الرسول قاطعٌ، عن أنّنا سوف نظهر نحن أيضًا، في ذلك اليوم، في المجد مع المسيح الذي هو حياتنا. لكن، يبقى علينا أن نشتهي ذلك اليوم، أن نطلبه ونجاهد في سبيله، أي ألّا يكون فقط غايتنا بل هدفنا في كلّ لحظة وظرف من حياتنا. عمليًّا، وبمعنى آخر، أن

العدد ٢٠١٩/٥٠

الأحد ١٥ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار الشهيد في الكهنة إلفثاريوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

يكون إنجيل المسيح دليلنا في كلّ ظرف وفكر وقرار وفعل؛ أن نلازم المسيح، الذي نعرفه في إنجيله وعقائد كنيسته وأسرارها، في كلّ تفاصيل حياتنا اليوميّة. هذه هي الحياة في الله، في هذا الدهر الحاضر.

يعلّمنا القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ (القرن ١٨) ألّا تبهرنا كرامات هذه الحياة وأمجادها لأنّها زائفة وزائلة. أمّا كرامات الحياة الآتية وأمجادها، فهي الحقيقيّة وغير الزائلة، وإن كانت غير مرئيّة بعيوننا الجسديّة. تمامًا كاللّؤلؤة التي تبقى مخفيّة طالما هي داخل الصَّدَفة، لكنّ عندما تُفتَح الصَّدَفة تظهر اللّؤلؤة بلمعانها وبهائها. هكذا، نحن المسيحيّين، دعوتنا ألّا نهتمّ بالصَدَفة (أي بقشور الحياة) بل بالعمل على نموّ اللّؤلؤة غير المنظورة (حياتنا في الله مع المسيح). هكذا، عندما ينحلّ الجسد بالموت، ويعود ما للأرض إلى الأرض، تظهر لؤلؤة الإيمان الحقيقيّ والأعمال المرضيّة لله، فنمثل أمام الله «قدّيسين بلا لوم ولا عيب». كذلك، نقرأ أنّ القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ، وهو في طريقه إلى الاستشهاد، راسل المؤمنين في روما قائلًا: «سامحوني، يا إخوتي، لا تمنعوني من الوصول إلى الحياة، لأنّ يسوع المسيح هو حياة المؤمنين. لا تمنعوني من الموت، لأنّ الحياة من دون المسيح هي الموت الحقيقيّ».

لم يحذِّر الرسول، في رسالة اليوم، من خطورة الأهواء الرديئة كقوله مثلًا «تجنّبوا فعل كذا وكذا» بل قال: «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض». طبعًا، طالما نحيا على الأرض فجسدنا بكلّ أعضائه موجود على الأرض، لكنّ ما يقصده الرسول هنا هو عيوننا التي تنظر بالشهوة والحسد، وآذاننا التي تصغي إلى كلام السوء، وأيدينا الملوّثة بالسرقة والأذيّة، وألسنتنا الناطقة بالكذب والنميمة... هذه كلّها علينا أن نميتها، حتّى لا تقوم إلى أفعالها الرديئة من جديد. طبعًا لا يقصد الرسول أعضاء الجسد حصرًا، بل إرادتنا وكلّ رغباتنا وأفكارنا أيضًا، وما هو خاضع فينا لطغيان الخطيئة، عن قصد أو عن غير قصد. لهذا، لم يقل «أعضاء جسدكم الأرضيّ» بل «أعضاءكم التي على الأرض»، أي المنتمية إلى الأرض لا إلى السماء. أيضًا، يقول القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ إنّ ديوننا القديمة أُميتت في المعموديّة. أمّا الإماتة التي يدعونا إليها الرسول بولس هنا فهي، وإن صارت ممكنة بفضل نعمة الله المجانيّة، لا تتحقَّق إلّا بفعل إرادتنا الحرّة.

لقد سمّى الرسول بولس، في حديثه عن أعضائنا التي على الأرض، بعض الخطايا على سبيل المثال وبشكل عامّ. أمّا عند ذكره الشهوة فأضاف عبارة «الرديئة»، محدِّدًا بذلك الشهوات التي تشدّ الإنسان إلى الأرض والتي تصبح، متى تفلّتت، المسبِّب الأساس لكلّ خطيئة. كأنّه أراد تذكيرنا بأنّه، كما أنّ أعضاءنا الأرضيّة مؤهَّلة لتكون سماويّة متى استُعملت فيما يرضي الله، كذلك الشهوة فينا مؤهَّلة لتكون حسنةً متى وجّهناها إلى كلّ ما هو لله. لقد سُمّي النبيّ دانيال «رجل الشهوات» (دا ٩: ٢٣) لأنّه كان مملوءًا بالرغبات الروحيّة، كما أنّ النبيّ داود يقول: «أمامك يا ربّ هو كلّ مشتهاي» (مز ٣٧: ٩). إذًا، السبيل الوحيد إلى إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسلَ عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستعفون. فقال له الأولُ قدِ اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبَها فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبده اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتها وأدخِلِ المساكينَ والجدعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد اخرُج إلى

الطُّرقِ والأسيجةِ واضطَّررهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّه لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئك الرجال المدعوين. لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

«إطرحوا الكل، الغضب والسخط والخبث والتجديف والكلام القبيح من أفواهكم».

إنّ الغضب ليس مدانًا دومًا، إذ من المُباح للمرء أن يثور ضدّ الشياطين، لكن ليس مباحًا له أن يثور ضدّ البشر، حتى ولو ابتعدوا كثيرًا في الخطيئة. والأسوأ من الغضب هو حفظ الحقد وذكرُ الإهانات. فالاحتداد المفاجئ يُفقد الصواب في الحال، ثمّ يهدأ بعد وقتٍ قليل، كما يُرى الدخان وهو يتلاشى. أمّا ذكر الإهانات، فإذ يرتسم في الفكر، يجعل النفس قاسيةً كحيوان كاسر. الكلاب مثلًا تهدأ متى قُدّم لها شيءٌ ما، والحيوانات الأخرى تتدجّن مع البشر، أمّا حقد الإهانات فلا يُصغِ إلى العقل ولا إلى أيّ تحذير، بل إنّ الزمن نفسه، الذي يداوي الأسواء كافّة، لا يسعه أن يشفيه. هنا تحقيق دعوتنا إلى المثول أمام الله قدّيسين بلا لوم ولا عيب، هو أن تبقى فينا، على هذه الأرض، شهوة إلى هذه الحياة المستترة مع المسيح في الله.

التجسّد

عيَّدنا في الرابع من كانون الأوّل للقدّيس يوحنّا الدمشقيّ الذي تكرِّمه كنيستنا المقدّسة كراهبٍ افتقر كمعلّمه، وهو رجل الغنى والمجد العالميَّين. إنصرف يوحنّا عن الدنيا تاركًا اضطراب هذه الحياة، وجادًّا في طلب سكونِ المسيح. أخضع جسده بأتعاب النُّسك الكثيرة، وطهّر مشاعره بمخافة الله، فأضحى مواطن الصحراء وقاهر الشرّير، مرتقيًا إلى السماويّات. جارى بأناشيده الأجواق السماويّة، ووضع نظام أنغام الموسيقى، كما نقض البدع ودافع عن الإيمان وسلّم الكنيسة المعتقد القويم، وبسَّط التعليم الصحيح بشأن الأيقونات المقدّسة، فاستحقّ، كلاهوتيّ، أن يدعى رسولًا حبيبًا. بمؤلفاته الغنية، فاق كلّ الحكماء الذين سبقوه، وقد شابه موسى في ولوجه غيمة الروح القدس واختراقه الأسرار الإلهيّة وسلَّمها لنا بلغة متناغمة.

كانت للقدّيس يوحنّا الدمشقيّ إسهامات جليلة وجزيلة القيمة في الحياة الكنسيَّة العقائديَّة والدفاعيَّة والليتورجيَّة. من بين هذه الإسهامات، كتابه الشهير «المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسيّ»، الذي يعرض فيه معظم عقائد الإيمان المسيحيّ: الله الواحد، الأقانيم الثلاثة، الخلق، الملائكة، العالم، الإنسان، سرّ الخلاص أو التجسّد الإلهيّ، الإيمان، قيامة الأموات، وتكريم الأيقونات والقدّيسين.

يقول قدّيسنا في إحدى عظاته: «ما من جديدٍ تحت الشمس إلّا التجسّد»، فما المقصود بكلماته هذه؟ تكلّم الدمشقيّ على عنصرَين: «الجِدّة» و«ما تحت الشمس»؛ هنا يستعير صورة «ما تحت الشمس» من العهد القديم، تحديدًا من سفر التكوين، الذي يتكلّم على خلق العالم والإنسان. تسرد هذه الرواية الكتابيّة تسلسل الأحداث المرتبطة بالخلق بدءًا بخلق السماوات والأرض، وصولًا إلى الشمس التي شكّلت نقطةً مفصليّة في الرواية الكتابيّة، ليُخلَق بعدها الإنسان. تُمثّل الشمس، في هذا السياق الكتابيّ، النظام في الكون، تاليًا فإنّ كلّ ما أتى بعدها يرتبط بها بشكلٍ أو بآخر: الحياة، الإنسان، الوقت، الفصول...

ما هو الجديد؟ الجديد هو أنّ الإله تجسَّد. يقول الرسول بولس عن سرّ التجسّد في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس: «عظيمٌ هو سرّ التقوى، الله ظهر بالجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، آمن به العالم، رُفع بالمجد» (١تي ٣: ١٦). «الكلمة صار جسدًا» (يو١: ١٤) لقد تجسّد المسيح من أجلنا وحمل طبيعتنا البشريّة ووهبها حياةً أبديّة. يقول القدّيس أثناسيوس الكبير: «لقد تأنّس الإله ليتألّه الإنسان»، أخذ الربّ يسوع شيئًا جديدًا هو جسدُنا لكي يعطينا شيئًا جديدًا هو حياته. أدخل ربّنا يسوع هذا الجديد إلى حياة البشريّة لكي يجدّد البشريّة في حياتها. لم يكن هذا التجديد من حيث طبيعته، بل من حيث موقعه على الخطّ الزمنيّ، إذ بتجسّد الكلمة أصبح كلّ

شيء جديدًا.

أتى هذا التجديد، أوّلًا بإنسان جديدٍ ليس كالإنسان القديم، لأنّه بتجسّد الكلمة أعطى طبيعة الإنسان (الخاضعة سابقًا لآثار الخطيئة وللموت) القدرة على غلبة الموت خلافًا لنظام الطبيعة. مع آدم الجديد، أي المسيح، بدأت حياةٌ جديدة غير خاضعة لقانون الطبيعة. ثانيًا، أتى بزمنٍ جديد، إذ تذكر الكنيسة، في تراتيلها، عبارة «اليوم»: «اليوم البتول...» و«اليوم يوم القيامة...» و«اليوم عُلّقَ على خشبة...». نقول «اليوم» لأنّ الحياة في المسيح لا تخضع للزمن والوقت، فنحن نعيش الحدث اليوم ونشترك فيه. ثالثًا، ظهرت شمسٌ جديدة، وإذا كانت الشمس في المفهوم الكتابيّ تمثّل عنصر النظام في الكون، فإنّ المسيح، نعبّر عنه في صلواتنا الكنسيّة بقولنا إنّه «شمس العدل». إنّه الشمس الجديدة التي ستقيم العدل في الوجود وليس النظام، وهذا هو الجديد الذي سيبقى جديدًا.

لم يتجسّد الربّ يسوع ليجلب لنا شريعة الإنجيل الجديدة. إنّ أيّ نبيّ كموسى وإيليّا كان بإمكانه أن يعلّم بوحي الروح كلمات الربّ يسوع في عظته على الجبل أو سواها. الجديد في المسيحيّة هو نوعيّة تعاليمها وسموّها. لم يتجسّد الربّ يسوع ليكون «معلّمًا صالحا» ومثلًا جديدًا أعلى من سائر الرسل والأنبياء القدماء، وهذا الدور يمكن أن يقوم به أي مُرسل آخر. لقد تجسّد الربّ يسوع ليقول: إنّ الجديد المطلوب ليس شريعة وخلقًا جديدًا، إنّما حياةٌ جديدة، هي تألّه الإنسان بالنعمة. هذه هي أبعاد الدعوة المسيحيّة، وهذا هو «الجديد» الفعليّ فيها. إذا كان بعضنا يرى مثلًا في «مَن ضربك على خدّك الأيمن حوّل له الآخر» تعليمًا جديدًا أسمى من السابق، فإنّ هذا ليس هو «الجديد» الذي جلبه ربُّنا يسوع. «الجديد» الذي جاء به تجسُّد الكلمة هو أنّ الإنسان يمكنه أن يصير «إلهًا بالنعمة».

يحدث هذا «التجديد» الروحيّ في بيت لحم الجديدة الأبديّة، أي الكنيسة التي يتمّ فيها اتّحاد كلّ إنسان بالله بواسطة النعمة. إنّ تجسّد الربّ يسوع يفتح زمنًا ومكانًا جديدَين للحياة. يتطلّب تجسّد الربّ، اليوم وكلّ لحظة، أن نجعل الزمن للتجديد وكلّ مكان بيتَ لحم. كلّ لحظة هي خادمةٌ لتألّه الإنسان، وإلّا فهي زمنٌ مسروق. كلّ مكان وأداة ومادّة هي مكان لتحقيق هذا السرّ، سرّ اتّحاد الله بالإنسان. هذه هي الكنيسة التي تجعل كلّ الزمن وكلّ العالم خدمةً ليتورجيّة واحدةً ومستمرّةً لتأليه الإنسان.

حصل التجسّد الإلهيّ مرّةً ليتألّه الإنسان دومًا. المسيح وُلد في لحظة لنستقبله كلّ لحظة. عسى أن تكون فترة الصوم هذه، التي نتحضّر من خلالها لإستقبال تجسّد ربّنا يسوع المسيح، أداةَ تجديدٍ روحيّ وكيانيّ لذواتنا، فنهتف مع الملائكة قائلين: «المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرَّة».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

ذروة الشرّ الذي يحذرنا منه الرب يسوع المسيح بشكل قاطع، إذ قال لنا: «امضِ أولاً وصالح أخاك، وعندئذٍ ائتِ وقدّم قربانك» (مت ٥: ٢٤). أوَلم يقل لنا القديس بولس الرسول أيضًا: «لا تغربِ الشمس على غضبكم» (أف ٤: ٢٦). فلنتّبع مشورة الرسول إن حدث لنا هذا السوء، ولنقل بالحري كما نبّهنا يسوع المسيح قائلًا: «يكفي كلّ يوم شرُّه» (مت ٦: ٣٤). بدلاً من أن نكره ذاك الذي أهاننا، فلنكره الشيطان الذي هو بالأحرى من أهاننا لا ذاك. هذا وإنّ الحقد تتبعه دومًا أسواءٌ جسيمة، كالحسد والغمّ والاغتياب، ولا نعتبرنّها أمورًا غير مهمّة. فهي تبدو سهامًا هزيلةً من العدو، مقارنةً بالأسلحة الأخرى التي يستخدمها ضدّنا مجرّبًا إيّانا حول بعض الآثام. لكن، بقدر ما تبدو هذه الأخيرة أشدّ قتامًا – وإذ نكون مذعورين بعد ارتكابها – بقدر ما نلجأ أيضًا إلى التوبة كبلسم خلاصي.

القديسة سنكليتيكي